السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

ولنقل ههنا كلمة عن مدينة شيكاغو اطلاعاً للقارئ على منزلتها من الفخامة يوم قدمها المسافر المجهول الذي مر ذكره

انَّ هذه المدينة مبنيَّة على ضفاف بحيرة ميشيغان ونظراً لعظمتها تُلقَّب « بملكة الغرب » في الولايات المتحدة حتى انها لتنازع مدينة نيويورك في فخامتها واعتزازها. ومع ان سائر المدائن تفتخر كل واحدة بقدامة نشأتها ترى شيكاغو تباهي بنشأتها السريعة ولذلك يسميها الاميركيون « مدينة القُطر » اشارة الى انها نبتت وارتفعت بغتةً كما ينبت القطر من الارض. ومع ذلك يزعم اهلها انها أقدم مدينة ذكرها البيض المحتأون في امركة. نعم انها كانت في اول امرها مركزاً حقيراً لكن هذا المركز الحقير ما لبث ان صار مستقراً للشعب الكثير الذي نشاهده اليوم

ففي عام ١٨٣٠ كان سكَّان شيكاغو عبارة عن مئات بضع رجل ولكن ما مضت ستون سنة على ذاك العهد حتى احتشد هناك مليون نفس بل ازيد من هذا العدد. وفي سنة ١٨٧١ حدث فيها حريق هائل فالتهمت النار ١٧,٥٠٠ بيت من منازلها ولكنها ما عتَّمت ان جدَّدت ما تخرَّب منها على نمط احسن واظرف من السابق. وفي سنة ١٨٩٣ أُنشئ فيها اعظم معرض شوهد للآن فاقبل الناس لمشاهدته مئات الوف من كل فجّ. وقد عُرضت فيه كل انواع الصنائع في بنايات فخيمة جداً ذات خمس عشرة او عشرين طبقة حتى كان الناظرون اليها يتخيَّلون انها تلمس السماء بارتفاعها ومع هذا كانت من الاتساع على جانب عظيم بحيث يمكن ان يدخلها دفعة واحدة لا اقل من عشرين ألفاً من المتفرجين

ويأتي الى شيكاغو كل يوم ١٧٥ الف مسافر تنقلهم اليها السكك الحديدية البالغة سبعة وعشرين سكَّة. وتحمل اليها ادارة البريد ١٠ آلاف طنّ من الرسائل

والوسطى من كلتا اليدين او بالضرب عليه بمقرعتين من المعدن تُجرجما الموسيقي على الاوتار وربما تراهم يجسونهُ ايضاً بالخراف انامِلهم غيرَ انَّ هذا مختصٌّ بالقانون الكبير المارّ ذكره الشائع استعماله في بلاد اوربَّة. اما عدد اوتار القانون عند الاقدمين من العرب فهو ستة وعشرون وترًا ليكون عدد نغماته متساوية لنغمات العود الكامل ذي الخمسة الاوتار

والجرائد يومياً كما ان العربات العمومية التي تتحرك بالكهربائية او البخار تنقل نحو مليونين و يدخل مياهها في اليوم لا اقلّ من ستين سفينة او اكثر

وهي في الوقت نفسه مستقرّ الثروات العظيمة والافلاسات الكثيرة. وقد اصبحت هذه الامور من الشؤون الاعتيادية فلذلك قلّ من ينظر اليها بعين الاهتمام. فهذا يرتقي وذاك يهبط ومن يهبط اليوم يقوم في الغد رجل آخر متأهبة وتتوالى هذه المشاهد كل يوم دون ان يبالي بها احد

ولشيكاغو مكتب واسع الفناء لاستئجار المنازل يأتيهُ كلّ يوم قوم عديد لهذا الشأن. وكان لمّا فُتح في صباح احد الايّام هذا المكتب ان حضر اليهِ رجل. فسألهُ المأمور الواقف هناك عمّا يريد فقال: اريد ان استأجر مخزناً فهل لك ان تأتيني بما يلزم من الافادات

فتناول المأمور دفتراً كبيراً ودفعهُ اليهِ قائلاً انك تجد فيهِ كلّ ما تشتهي. ثم تركهُ واقبل على الاهتمام بالكتابة دون مبالاة بهِ فاخذ الرجل يقلب الدفتر بتمهل لعلهُ يرى ما يوافقهُ ولكن بالعكس فانهُ قرأ فيهِ اعلانات جمة عن مخازن كثيرة اجرة بعضها ١٠٠ الف دولار وغيرها ٥٠ الف دولار او ١٠ آلاف دولار. فحينئذٍ تأوّه قائلاً: اني لا اجد في هذا الدفتر حاجتي لاني اريد مخزناً تكون اجرتهُ خفيفة

فلمّا سمعهُ المأمور قال لهُ اكشف الصفحة ١١٥٥ فكشفها الرجل فرأى اجور مخازن اخرى لا تقلّ عن الف دولار فنادى المأمور قائلاً: اوجوك ان تدلّني على اجور اخفّ من هذه ايضاً فانا ممّن يستطيعون ان يدفعوا مثل هذه المبالغ الكبيرة

فتأفّف المأمور من طلبهِ ومع ذلك تناول دفتراً آخر ودفعهُ اليهِ قائلاً: فتّش فيهِ تجد مطلوبك. فما كاد المذكور يفتحهُ حتى رأى اعلاناً عن مخزن اجرتهُ مئة دولار فقال: قد وجدت مطلوبي. واراهُ للمأمور فاومأ اليهِ ان يعود اليهِ في الغد. ثم ان الرجل خرج في سبيلهِ واخذ المأمور الدفتر واقفلهُ ووضعهُ في محلّهِ فعاد الغريب في اليوم التالي ودفع المئة دولار وسجّل اسمهُ في الدفتر « بيترس لاضف » ومضى في سبيلهِ

الفصل الثاني

في قاعة اللعب

لمّا كان منتصف الليل من بعض ايّام نيسان كنتَ ترى في غرفة كبرى من الطابق

السفلي في احد المنازل الرحبة من شيكاغو قومًا اجتمعوا للمقامرة وكانوا وقتئذٍ جالسًا حول مائدة مغطاة بطنفسة خضراء تتدحرج عليها الليرات والريالات. وكان رئيس اللعب يقول بين كل خمس دقائق « ضعوا يا خواجات رهونكم » فتنهال الدراهم من الايدي على المحل المخصوص المرسوم بالالوان فيقول الرئيس « كملت رهونكم وأغلق البنك». ثم انهُ يأخذ كرةً فيدحرجها بقوة على مائدة من العاج فتركض مسرعةً وتحدق بها الابصار شاخصةً حتى اذا تراخت حركتها ظهرت علائم الاضطراب على الوجوه وخاف كل احد من وقوفها حيث يكون من الخاسرين. اما الكرة فبعد ان تتنقل ببطء من نقرة الى اخرى تستقر اخيرًا حيث تنقطع حركتها وحينئذٍ تسودُّ وجوهٌ وتبيض وجوه ويجمع رئيس اللعب كل ما على المائدة من الريالات وبعد ان يضع منها في الصندوق ما يعود عليه يعطي الرابحين رهونهم ضعفين او ثلاثة حسب الشروط. ولا يمضي على ذلك خمس دقائق حتى يُستأنف اللعب ويعود الرئيس لتكرار هتافه السابق باللاعبين قائلًا « ضعوا رهونكم »

وكان في جملة اللاعبين على المائدة الثالثة رجل معتدل القامة اصفر اللون براق العينين ومع توالي الخسارة عليه لم يكفَّ عن اللعب بل كان يكابر دائمًا وكلما خسر من القراطيس ورقةً وضع مكانها ورقةً اعلى منها قيمةً وما زال كذلك حتى جرى بينهُ وبين أحد اللاعبين الحديث الآتي:

يا خواجا ان المنازل الحمراء هي لي

— كلا يا خواجا فاني وضعت دراهمي قبلك

— لا بل انا سبقتك

— كل هؤلاء شهود

— شهود على انك تريد سرقتي

— لقد اهنتني

— بل انت الذي . . .

وما كاد ينطق بهذا حتى انقضَّ على خصمهِ كالباشق على فريستهِ . وما كان الا كلمح البصر حتى بادر رجل من الشُرط وأمرهما باسم الحكومة بالكفِّ عن الخصام. أما المسافر الذي كان قد تحمّل الخسائر الكبيرة منذ اول السهرة فاجاب قائلًا:

هذه بطاقتي للبراز

— وهذه بطاقتي ايضاً

— اسمي بيترس لاضف وصنعتي المتاجرة بالحبوب

— واسمي بروسبر اولري

— اولري من ذوي قرابة المستر جون اولري ؟

— ابن اخيه . ثمَّ تفرَّس في خصمه قائلاً : اوَ تعرفهُ . قال بيترس لاضف بجهمة : كلَّا لا اعرفهُ . قال ذلك وخرج من قاعة اللعب ثمَّ توارى بسرعة البرق

ولمَّا حضر الشهود في صباح اليوم التالي الى محل بيترس لاضف شاهدوا في مكتبهِ اختلاطاً واضطراباً عظيمين لانهُ لما لم يكن قد عاد الى البيت الى اهلهُ الى المكتب ليروا هل هو هناك . وكان قد خرج المذكور في مساء اليوم السابق وفي صباح اليوم وجدت غرفتهُ مفتوحةً وخزانتهُ مفتَّحة واوراقهُ ملقاة على المائدة بلا ترتيب ولا نظام أمَّا هو فلم يوجد فيها . فتبادر الظنّ الى انَّ لصاً دخل الحجرة لسرقة ما فيها

ثمَّ انهم انتظروا رجوع لاضف المذكور ولكن ذهب الانتظار باطلاً وبحثوا عنهُ كثيراً فلم يُجدِهم البحث نفعاً . فأخذ النَّاس يتأوَّلون تواريَهُ تأويلات مختلفة وظنَّ بعضهم انَّ خسارهُ في البورس دفعتهُ الى الاختفاء . ولكن ما لبثت ان ظهرت الحقيقة وبان ان الرجل أفلس لانهُ خسر مبالغ عظيمة في اللعب فحمل صندوقهُ وأوراقهُ وسافر دون ان يهتمّ بمبارزة المستر اولري . وفي اليوم التالي انتشر في كل الجرائد خبر هرب المذكور وافلاسهِ

وان قيل من هو بيترس لاضف هذا الذي تشاغل الناس بمسألتهِ في شيكاغو ورنَّ صدى اسمهِ في كلّ محافلها ومجالسها . قلنا انَّهُ كان من أغنى تجَّار الحبوب في المدينة . وكان في اول امرهِ متوسط الثروة لكنَّهُ ربح أرباحاً عظيمة في احتكار القمح فوصل الى درجة عظيمة من الثروة واليسار . وقد تعلَّق من يوم وجودهِ في شيكاغو بلعب القمار وكان يخاطر فيهِ اي مخاطرة

وقد اخذ الناس عند اعتلان خبر افلاسهِ يتساءلون عن موطنهِ وعائلتهِ فلم يكن منهم مَن يعرف ذلك ولا عجب فانَّ شيكاغو مدينة عظيمة قلَّما يستفهم فيها رجل عن آخر

(ستأتي البقيَّة)